الشعر التعليمي:

عرف هذا اللون من النظم الذي يتخذ للحفظ والاستظهار منذ عصر بني العباس ، وبلغ الذروة في العصور المتأخرة، وأصبح احد مستلزمات الدراسة في علوم اللغة العربية وآدابها، وهو – كما هو معروف – يفقتر الى العاطفة والخيال، ويبتعد عن دقة الحس ورقة النفس، ويخاطب العقل، ويتميز بالطول والاعتماد – في الغالب – على الرجز.

وقد كان للنحو والصرف القدح المعلى من هذا النظم، ولا سيما تلك المطولات المعروفة بالالفيات، مثل الفية زين الدين ابي زكريا يحيى بن عبد المعطي المشهور بأبن معطٍ (ت ٦٢٨ هـ) المسماة بـ ((الدرة الالفية في علم العربية))، وألفية العلامة النحوي اللغوي جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢ هـ) المسماة بـ ((الخلاصة))، وألفية الحافظ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) المسماة بـ ((الفريدة))...

وفي علوم البلاغة اشتهرت البديعيات، وأول من نظم فيها قصيدة أمين الدين علي بن عثمان الاربلي (ت ٦٧٠هـ)، وهي في ستة وثلاثين بيتاً مضمناً كل بيت محسناً من محسنات البديع وإزاء كل بيت المحسن الذي يشير اليه. ثم تحولت هذه البديعيات الى مديح الرسول – صلى الله عليه وسلم – كي يقبل الدارسون على حفظها من خلال هذا المديح في أعظم انسان. وهي على غرار بُردة البوصيري، وفي بحر البسيط، منها بديعية صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ) المسماة بـ ((الكافية البديعية في المدائح النبوية)) عدتها مئة وخمسة وأربعون بيتاً تشتمل على مئة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع ، مطلعها:

إن جِئتَ سَلعاً فَسَل عَن جَيرَةِ العَلَمِ

وَاِقرَ السَلامَ عَلى عُربٍ بِذي سَلَمِ

وقال في مقدمتها: ((الزمتُ نفسي في نظمها عدم التكلف، وترك التعسف، والجري على ما أخذت به نفسي من رقة اللفظ وسهولته، وقوة المعنى وصحته، وبراعة المطلع والمترع، وحسن المطلب والمقطع، وتمكن قوافيها، وظهور القوي فيها، بحيث يحسبها السامع غُفلاً من الصنائع)). ونظم على غرارها شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد المعروف بابن جابر الأعمى (ت ٧٨٠هـ) قصيدة سماها ((الحلة السيرافي في مدح خير الورى))، وتقع في مئة وسبعة وعشرين بيتاً، استهلتها بقوله:

بِطَيبَةَ انزِل وَيَمِّم سَيِّدَ الأُمَمِ

وَانثُر لَهُ المَدحَ وَانشُر أَطيَبَ الكَلِمِ

ولعل بديعيةً لم تظفر بالشهرة كما ظفرت بديعية ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) وقد جعلها في مئة وثلاثة واربعين بيتاً، استهلها بقوله:

لي في ابتدا مدحِكُمُ يا عُربَ ذِي سَلَمِ

بَراعةٌ تستهلُّ الدَّمعَ في العَلَمِ

وثمة بديعيات أخرى مثل بديعية جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) التي سماها ((نظم البديع في مدح خير شفيع)) ، وبديعية عائشة الباعونية (ت ٩٢٢ هـ) التي سمتها ((الفتح المبين في مدح الأمين)) وبديعية صدر الدين إبن معصوم الحسيني المدني (ت ١١١٧ هـ) ، وبديعية عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ).

وفي علم العروض نظم شهاب الدين أحمد بن اسماعيل الكوراني (ت ٨٩٤ هـ) قصيدة في ست مئة بيت سماها ((الشافية في علم العروض والقافية)) ، اولها:

بِحَمْد اله الْخلق ذِي الطول وَالْبر بدأت بنظم طيه عبق النشر

وثنيت حمدي بِالصَّلَاةِ لِأَحْمَد أبي الْقَاسِم الْمَحْمُود فِي كربَة النشرِ

صَلَاة تعم الْآل والشيع الَّتِي حموا وَجهه يَوْم الكريهة بالنصرِ

ووصلت الينا مجموعة منظومات في الموسيقى، وقد ذكرنا واحدة منها، وهي ((ارجوزة الانغام)) لبدر الدين محمد بن علي بن احمد الإربلي (ت ٧٥٥ هـ)، ونذكر هنا أخرى بعنوان ((ارجوزة الالحان والنغمات)) في خمسة وخمسين بيتاً لعبد الله بن خليل بن يوسف المارداني (ت ٨٠٩ هـ)، وثمة ارجوزة للعالم الجليل الشيخ محمد شمس الدين الصيداوي (ت٩١١ هـ) بعنوان ((ارجوزة في الأنغام)) في مئتين وأربعة وتسعين بيتاً.

وشمل الشعر التعليمي علم التوحيد، فها هو ذا شهاب الدين ابو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعروف بابن عر بشاه (ت ٨٥٤ هـ) ينظم قصيدة بعنوان ((العقد الفريد في علم التوحيد)) اولها:

سَبَى القلب ظَبْيء من بنى العلم أَغْيد

له مقلة كحلاً وخدّ مُورّدُ

وفي الفرائض نظم شهاب الدين احمد بن يوسف السيرجي (ت ٨٦٢ هـ) ارجوزة سماها ((المربعة)) عدتها ثلاث مئة وثلاثة عشر بيتاً، ووصلت الينا قصيدة لابراهيم بن احمد بن ناصر الدمشقي (ت ٨٧٠ هـ) في شروط الوضوء، مطلعها:

احفظْ شروطاً للوضوءِ نظمتُها فبحفظها يعني الفقيهُ البارعُ

وأخذ التاريخ جهداً كبيراً من الشعراء، اذ تراهم يؤرخون للحوادث والوقائع في قصائد وأراجيز طويلة، ونكتفي هنا بذكر واحدة منها لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وهي في مئة وستة عشر بيتاً، تناول فيها ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم اسماء الخلفاء الراشدين ثم الأمويين ثم العباسيين، وكذلك تناول فيها أسماء الخلفاء من بني العباس في مصر الى سنة ٩٠٣ للهجرة، جاء في اولها:

الحمدُ للّه حَمداً لا نفادَ له وإنما الحمدُ حقّاً رأسُ مَن شكرا
ثم الصلاةُ على الهادي النبيّ ومَن سادَت بنسبتِه الأشراف والكُبرا
إن الأمينَ رسولُ اللّه مبعثُهُ لأربعين مضت فيما رَوَوا عُمرا
وكان هجرته فيها لطيبتِهِ بعدَ الثلاثةِ أعواماً تَلي عَشَرا
وماتَ في عامِ إحدى بعدَ عشرتِها فيا مصيبةَ أهلِ الأرضِ حين سَرى

ومن طريق ما وصل الينا هذه الأراجيز، أرجوزه في أسماء أسواق العرب المشهورة قبل الاسلام لعمر بن عبد الله بن عامر المعروف بالزين الأنصاري (ت ٨٢٦ هـ)، قال فيها:

إن شئت أن تعرف أسواق العرب لتقتفي الآثار من أهل الأدب
فدومة الجندل ، والمشعر وان هذا القول عندي أظهر
كذا فجار ، ودثار الشحْر وعدن من دون هذي البحرُ
صنعاءُ منها ، وعكاظُ الزاهية وذو المجازِ ، وحُباش تاليةْ
وآخرُ الأسواق عند ذي الرَّشد مجنّة بها فكمل العددْ

وهناك اراجيز وفصائد كثيرة في علوم الحديث والتصوف والمنطق والطب والفلك والخط وسواها، ولا مجال لتناولها في هذا الكتاب، ولعل ما ذكرنا من أمثلة يكفي للاستدلال على الاهتمام بها والاعتماد عليها وعلى شروحها في التعليم والتعلم في العصور المتأخرة.

ويمكن أن تضيف الى الشعر التعليمي القصائد الطويلة التي نظمت في التربية وآداب السلوك ، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، وفلسفة الحياة، ولاسيما تلك القصائد التي عارض فيها اصحابها لامية اسماعيل بن الحسين إبن علي الطغرائي (ت ٥١٥ هـ) التي يقول في مطلعها:

أصالةُ الرأي صانتْنِي عن الخَطَلِ وحِليةُ الفضلِ زانتني لدَى العَطَلِ

وهي من بحر البسيط، وأشهر من عارضها بإجادة خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، بقصيدة مطلعها:

الجَدُّ في الجدِّ والحِرمانُ في الكَسَلِ

فانصبْ تُصِبْ عنْ قريبٍ غايةَ الأملِ

ومن جميل النصح والارشاد في القصيدة:

وإنْ بُليتَ بشخصٍ لاَ خَلاقَ لهُ فكُنْ كأنَّكَ لمْ تسمعْ ولمْ يَقُلِ

ولا تُمارِ سفيهاً في مُحاورَةٍ ولا حليماً لكيْ تنجو منَ الزَّلَلِ

وكذلك عارضها اسماعيل بن ابي بكر بن عبد الله المعروف بأبن المقريء (ت ٨٣٧ هـ) وهو من اهل اليمن، ومطلع لاميته:

زيادةُ القولِ تَحكي النقصَ في العملِ ومنطقُ المرءِ قد يَهديهِ للزَّلَلِ

وتعد هذه القصيدة من الدروس النافعة في تربية النفس، وتوطينها على الاخلاق النبيلة، ونبذ ما يشينها ويزري بها، مثل ما جاء فيها.

وقيمةُ المرءِ ما قَد كانَ يُحسنُهُ فاطلبْ لنفسكَ ما تعلو به وسلِ

وخير مالِ الفتى مال يصون به عرضاً وينفقهُ في صالحِ العملِ

وثمة لامية تربوية مشهورة لابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ)، وقد جاءت في وزن الخفيف وهو مغاير للقصائد السابقة التي اعتمدت على البسيط في تفعيلاتها، ومطلعها:

اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزلْ وقلِ الفصلَ وجانبْ مَنْ هزلْ

ومنها:

أطلبُ العِلمَ ولا تكسَلْ فما أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكَسَلْ

في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدى وجمالُ العلمِ – ياصاحِ – العملْ

ومثل هذا النظم يكاد يكون سمةً بارزة لهذا العصر، إذ يجد القارئ عشرات القصائد التي تدعو الى نبذ الكسل، وطلب العلم، والتمسك بالخلق الكريم، وبناء الأسرة على أسس الفضيلة والعزة

والكرامة .. ولا ضير في قراءته وحفظه، بل هو نافع ومفيد، وقد حث الدكتور طه حسين ناشئتنا على التوجه الى الشعر التعليمي، فقال: ((ان في قراءة هذا النوع ما قد يبعث شعراءنا على محاكاة هذا الشعر، وأوكد لكم أن هذه المحاكاة تعود بشيء كثير على الشعر في هذا العصر، فأجمل ما فيه أنه بريء كل البراءة من التكلف.